



عيد الغطاس والقديس المعمدان

The Epiphany & St. John The Baptist

Jan. 1997

1st. Print

Cairo

يناير ١٩٩٧

الطبعة الأولى

القاهرة

الكتاب : عيد الغطاس والقديس المعمدان .

المؤلف : قداسة البابا شنودة الثالث

الناشر : الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية بالعباسية .

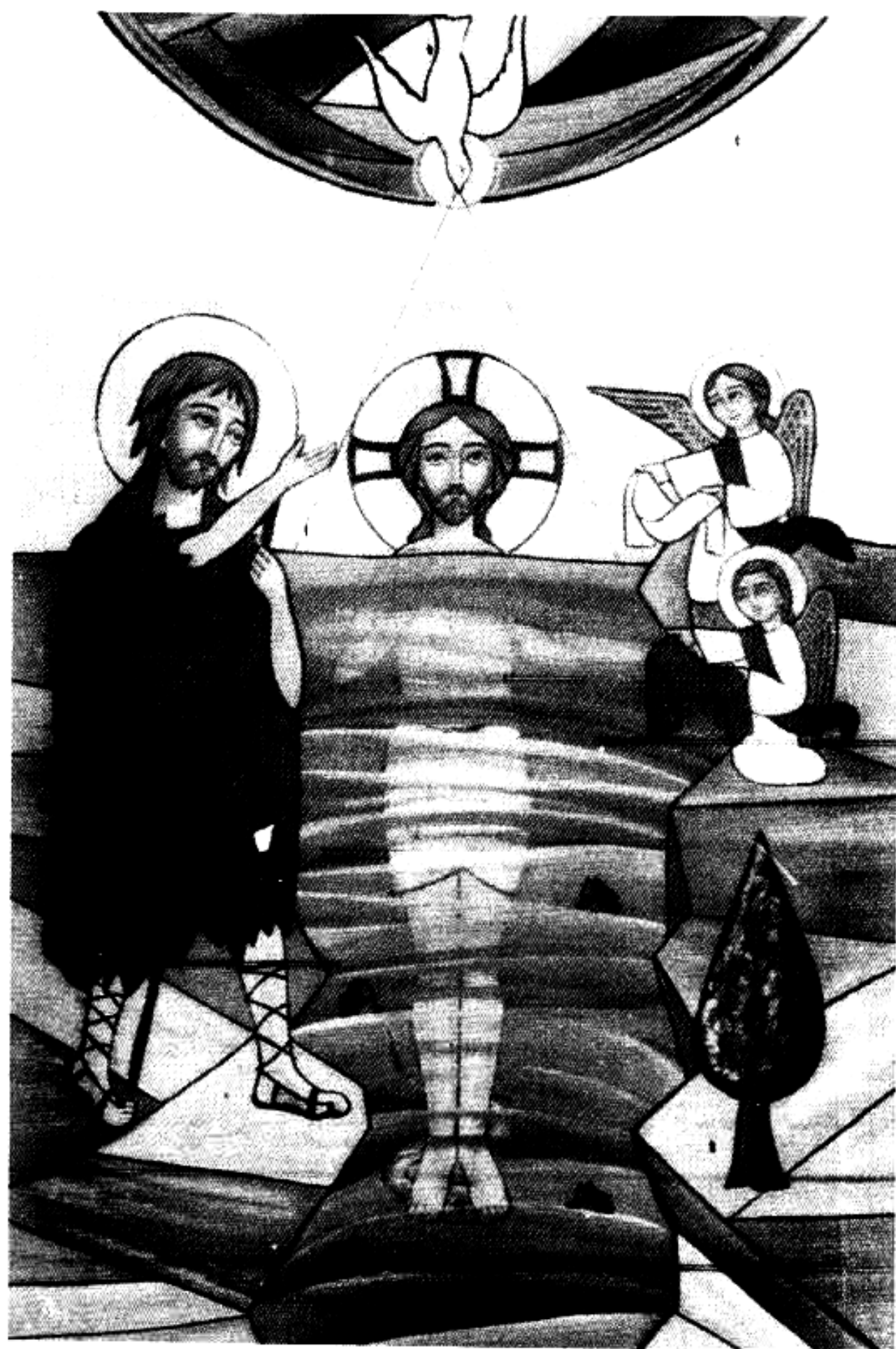
رسم الأيقونة : تاسونى سوسن

الطبعة : الأولى يناير ١٩٩٧ م .

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست العباسية .

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٧/٢٥٠٤

977 - 5345 - 37 - 5



تأملات في عيد الغطاس الربحي

يحمل إلينا شهر يناير عدداً من الأعياد : عيد رأس السنة،
وعيد الميلاد، وعيد الختان، وعيد الغطاس .
نشكر الله إذ أعطانا بركة كل هذه الأعياد وفاعليتها في حياتنا.
وإذ نحتفل بعيد الغطاس المجيد، يسرنا أن نقف عنده قليلاً
للتأمل :

إنه عيد الغطاس أو عيد العماد ...

هذا العيد يسمونه أيضاً بعيد الظهور الإلهي (التيئوفاتيا) .
إذ فيه ظهر الثالوث القدوس: الابن يعتمد، والآب من السماء
يقول "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، والروح القدس يظهر
على هيئة حمامة" (مت ٣: ١٦، ١٧). ولذلك فإن عماد السيد
المسيح يُظهر عقيدة الثالوث..
وهكذا يكون العماد دائماً باسم الثالوث .

حسب قول الرب لتلاميذه قبل صعوده "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨ : ١٩) . ولم يقل بأسماء، لأن الثلاثة واحد" كما ورد في (١ يو ٥ : ٧) "الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة : الآب والكلمة والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد .



وحسناً أن الكنيسة سمّت هذا العيد بعيد الغطاس .

لأنها بذلك تذكر الشعب فيه أن السيد المسيح تعمّد بالتغطيس، كما قيل إنه لما اعتمد "صعد للوقت من الماء" (مت ٣ : ١٥) . وتذكرهم أيضاً بأن المؤمنين في العهد الجديد يتعمدون بالتغطيس، (وليس بالرش، كما عند بعض الطوائف) . وهكذا تعمّد الخصي الحبشي في بداية العصر الرسولي على يد فيلس "ولما صعدا من الماء، خطف روح الرب فيلبس" (أع ٨ : ٣٩) .

وأيضاً لأن المعمودية صبغة (باللاتينية Baptisma)، والصبغة تتم بالتغطيس. ولأن المعمودية دفن مع المسيح (كو ٢ : ١٢) ، والدفن يتم بالتغطيس في القبر. ولا يمثله أبداً الرش بالماء ...

كذلك في كل الآثار القديمة .

نجد أنه كان العماد يتم في جرن يسمى (جرن المعمودية). وهذا

يدل على أن المعمودية كانت بالتغطيس ، وليس بالرش .



ونذكر في هذا العيد الكثير من المعاني الروحية والعقائدية،
سواء بالنسبة إلى عماد السيد المسيح من يوحنا المعمدان، أو أهمية
المعمودية في الكنيسة ...

نذكر أيضاً أن السيد الرب تقدم إلى المعمودية يوحنا وهو غير
محتاج إليها.

إنما ليكمل كل بر، ليكون بلا لوم أمام الناس، حتى وهو غير
محتاج. وهنا يضع أمامنا مبدأ الطاعة ومبدأ الالتزام، دون أن نسأل
ماذا يفيدنا ؟

وأيضاً دخل المعمودية يوحنا لكي ينيب عنا، كما صام عنان،
وكما صلب عنا!

كثير مما كان يفعله، كان من أجل غيره، وليس من أجل نفسه.
لقد ناب عنا في أن يقدم لله الأب صورة للإنسان الكامل، يرضى
الأب بحياته، كما يرضيه بفدائه للبشرية .



ونحن في عماده : نذكر تواضعه ..

ونذكر محبته والتزامه، ورقته في الحديث مع يوحنا، إذ يقول
له (اسمع الآن) .

على أن المعمودية السيد المسيح، إنما تذكرنا بمعموديتنا نحن أيضاً . وبعمق اهتمام الكنيسة بالمعمودية .

فالمعمودية هي الأولى في أسرار الكنيسة وباب الدخول إلى باقى الأسرار .

والعامة يقولون "نصرنا فلاناً" أى عمدناه. لأنه بالعماد صار نصرانياً .. وهو تعبير سليم فى معناه اللاهوتى يذكرنا بقول السيد المسيح "من آمن واعتمد خلص" (مر ١٦ : ١٦) .

لذلك يوم العماد هو يوم عيد بالنسبة إلى الطفل وأسرته .

وفى هذا اليوم تمنحه الكنيسة ثلاثة أسرار مقدسة هي المعمودية والميرون (المسحة المقدسة)، وسر التناول أيضاً. وتمهده للمشاركة فى حياة الكنيسة . ويصبح عضواً فيها، ويأخذ أول شهادة كنسية فى حياته .

وتعين الكنيسة للطفل المعمد أشبينا يتولى رعايته روحياً، وغالباً ما تكون الأم هي أشبينة طفلها .

وتتعهد الأم أمام الله والكنيسة أن ترعى طفلها فى خوف الله، وتكون هي المعلم الأول له، تلقنه كل أمور الدين، وتدربه عليها عملياً .



تواضع الربّ فى المعمودية

معمودية يوحنا كانت معمودية التوبة . ولم يكن السيد المسيح محتاجاً إلى توبة. فلماذا تعمّد؟

تعمّد نائباً عن البشرية فى الدخول إلى معمودية التوبة...

كما صام عنا، وهو غير محتاج إلى صوم .. وكما مات عنا، وهو غير مستحق للموت ...



وكل ذلك ليقدم للأب صورة كاملة للبشرية، ويدفع ثمن خطاياها.. كذلك هو أيضاً تقدّم إلى المعمودية "لكى يكمل كل بر" (مت ٤: ١٥) لكى لا يبكته أحد على خطية.. لكى يكون أمام الكل خاضعاً للناموس، مع أنه فوق الناموس ... وهكذا سار مع الشعب، كواحد منهم متقدماً إلى معمودية التوبة .

أى تواضع هذا، الذى يقدمه الرب لنا؟! ولما اعتفى يوحنا، وقال "أنا المحتاج أن أعتمد منك" أجابه الرب "اسمح الآن..". وبنفس الوضع سمح أن أمه العذراء المثالية فى طهرها، التى ولدته من الروح القدس بغير دنس، تتقدم "لما تمت أيام تطهيرها"

لنقدم محرقة (لوقا ٢: ٢٢) .. وما كانت هي محتاجة إطلاقاً إلى أيام
تطهير ...



إن السيد المسيح ما كان خاطئاً ليتقدم إلى المعمودية التوبة.
لكنه كان (حامل خطايا) . حمل خطايا العالم كله .
وبهذا شهد عنه يوحنا الذي عمدته (يو ١: ١٩) .
لقد حمل المسيح خطايا العالم ، ونزل بها إلى المعمودية. وكذلك
حمل هذه الخطايا على الصليب، ومحاماً بدمه ... "كلنا كفنم
ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه . والرب وضع عليه إثم جميعنا"
(أش ٥٣: ٦) .

السيد المسيح مع أنه بار بلا خطية، وقد تحدى اليهود فيما بعد
قائلاً لهم "من منكم يبكتني على خطية" (يو ٨: ٤٦) ... لكنه تم
طقس المعمودية التوبة. ولم يشذ عن هذا العمل الروحي الذي تقدمت
إليه الجماهير التائبة. فوجدناه يسير كما سار باقى الشعب الخاطئ
متقدماً نحو المعمودية التوبة .

كلهم تعمّدوا معترفين بخطاياهم. أما هو فتعمّد حاملاً خطايا
الشعب كله .

وفعل هذا، لئلا تمسك عليه غلطة أو يحسب عليه نقص. وأيضاً

ليكمل كل بر" .



بنفس التواضع أيضاً "لكي تكمل كل بر" ، سلكت والدته
القديسة العذراء أيضاً .

فقد ورد في قصة دخولها به إلى الهيكل "ولما تمت أيام
تطهيرها حسب شريعة موسى ليقدّموه للرب .. ولكي يقدموا ذبيحة
كما قيل في ناموس موسى زوج يمام أو فرخي حمام" (لوقا : ٢٢ -
٢٤)

عجيب أن يقال عن العذراء عبارة "ولما تمت أيام تطهيرها"!!..
هذه التي قدّس الروح القدس مستودعها أثناء الحبل المقدس . فحلبت
به بلا دنس الخطية الأصلية .. وما كانت تحتاج مطلقاً إلى
تطهير .. ولكنها - لكي تكمل كل بر - خضعت لوصية الناموس ،
وهي غير محتاجة إلى ذلك .

حقاً هناك أمور لا يكون الإنسان ملزماً أن يعملها ، ولكنه يفعل
ذلك : لكي لا يعثر الآخرين ، ولكي يكمل كل بر ..



ومن تواضع الرب أيضاً ، أنه نال العماد من يوحنا .

رئيس الكهنة الأعظم ، ومانح الكهنوت ، نال المعمودية من أحد
كهنته ، من أحد أولاده .. من إنسان اعترف قائلاً له "أنا المحتاج أن

أعتمد منك" (مت ٤ : ١٤). كما اعترف قائلاً "لست مستحقاً أن
أحنى وأحل سيور حذائه ...



كهنوت السيد المسيح ملكى صادق، وملكوت يوحنا هارونى .
والمعروف أن كهنوت ملكى صادق أعظم من كهنوت هارون،
كما شرح معلمنا القديس بولس الرسول فى (عب ٧) . كما أن ملكى
صادق بارك أبانا إبراهيم، الذى كان هارون فى صلبه (عب ٧).
ومع ذلك بكل تواضع تقدم الذى هو كاهن إلى الأبد على طقس
ملكى صادق (مز ١١٠ : ٤) لينال المعمودية من أحد أولاد هارون !
وفى هذا أيضاً توقيير منه للكهنوت فى عصره .

كما حدث حينما شفى الرجل الأبرص، أن قال له "اذهب أر
نفسك للكاهن، وقدم القرбан الذى أمر به موسى شهادة لهم" (مت ٨ :
٤) .



حقاً إن قصة العماد مملوءة بأمثلة عديدة من التواضع .
من تواضع الرب أيضاً ، أنه بعد كل الأمجاد التى ظهرت أثناء
عماده، فى شهادة الأب، وحلول الروح القدس، وشهادة يوحنا ...
بعد كل هذا صعد إلى الجبل . ليجرب من الشيطان ، وسمح
للشيطان أن يجربه، بكل جرأة ، أو على الأصح بكل كبرياء ...

وردّ عليه الرب بكل هدوء . وبتواضعه قهر كبرياء الشيطان ...



ومن تواضع الرب أنه خضع للناموس في السن كما في
العماد.



أنتظر حتى بلغ سن الثلاثين حسب الناموس، وما كان أسهل
عليه أن يبدأ قبل ذلك بسنوات طويلة، وهو الذي في سن الثانية
عشرة أذهل الشيوخ المعلمين، فبهتوا ممن فهمه وأجوبته (لو ٢:
٤٧) ... ولكنه أنتظر إلى سن الثلاثين، وأنتظر حتى أعتمد، وحتى
قضى فترة خلوة على الجبل.. ثم بدأ العمل ...

تواضع المسيح منذ بدء رسالته ، ليرد على خطية آدم الأول .
آدم الأول استجاب للإغراء في أن يصير مثل الله (تك ٣: ٥).
وهذا لون من الكبرياء بلا شك. فجاء السيد المسيح ابن الله، في
شبه الناس، في صورة عبد (في ٢: ٧) يسلك في إتضاع، في مولده
في مزود يمثل الفقر. (لو ٢: ٧). وكذلك في عماده من عبده يوحنا
المحتاج أن يعتمد منه ...



ويوحنا المعمدان الذي عمده كان متواضعاً ...
على الرغم من أنه كان عظيماً. وقد شهد له الرب نفسه

بالعظمة، وشهد له ملاك الرب أيضاً، كما سنرى .

عظمة المَعْدَان

كثيرون شهد لهم الناس بالعظمة وكانت شهادات زائفة وخاطئة
أو جاهلة أو متملة ...

أما يوحنا المعمدان فإن الذى شهد له بالعظمة هو الله
وملاكه .

قال عنه ملاك الرب الذى بشر أباه زكريا بميلاده "ويكون
عظيماً أمام الرب" (لو ١ : ١٥) .

عجيبه هذه العبارة جداً "أن يكون عظيماً أمام الرب"، الذى
أمامه يقف كل إنسان شاعراً بضآلته، كما قال أبونا ابراهيم "عزمت
أن أكلّم المولى وأنا تراب ورماد" (تك ١٨ : ٢٧) .

عبارة "عظيماً أمام الرب" لا تعنى شعوره هو بعظمته، إنما
تعنى أن الرب قد منحه عظمة لكى يقف أمامه .

وهكذا لصقت العظمة بيوحنا من قبل أن يولد بشهادة الرب .

أعمال عظيمة قيلت عن هذا النبی العظيم : منها أنه "يرد
كثيرين إلى الرب إلههم" "يرد العصاة إلى فكر الأبرار" "يهيئ للرب
شعباً مستعداً" "يهيئ الطريق قدام الرب" "يتقدم أمامه بروح إيليا

وقوته" . ويهيئ للرب شعباً مستعداً" (لوا: ١٦ ، ١٧) "وكثيرون
يفرحون بولادته" ...

وفى كل ذلك نسأل الملاك الذى بشر بميلاده عن سر هذه
العظمة العجيبة، فيجبنا بقوله أنه ...



من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس (لوا: ١٥) .

حقاً، هذا هو سر عظمة يوحنا . سمعنا فى الكتاب المقدس أن
الروح القدس حل على كثيرين: حل روح الرب على شمشون
(قض ١٣ : ٢٥)، وعلى شاول (اصم ١٠ : ١٠ ، ١١)، وعلى داود
(اصم ١٦ : ١٣)، وعلى كثير من الأنبياء. ولكن لم نسمع مطلقاً عن
أحد منهم أنه "من بطن أمه" قد أمتلأ من الروح القدس". نلاحظ
هنا استعمال عبارة "أمتلأ من الروح"، وليس مجرد حلول الروح
عليه. هذا الأمر قد اختص به يوحنا المعمدان. لم يسبقه إليه أحد.
ولكن لعلنا نسأل :

متى أمتلأ المعمدان بالروح القدس من بطن أمه ؟

كان ذلك فى قول الرب "ولما سمعت أليصابات سلام مريم،
ارتكض الجنين فى بطنها، وإمتلأت أليصابات من الروح القدس"
(لوا: ٤١) .. وصرخت أليصابات وقالت للقديسة مريم "حين صار

صوت سلامك فى أذننى، أرتكض الجنين بابتهاج فى بطنى" (لوا: ١: ٤٤).

فى هذه اللحظة، لحظة سلام مريم والدة الإله إمتلأ يوحنا بالروح القدس وهو فى بطن أمه .

بالروح أحسّ بالجنين الإلهى فى بطن العذراء، وابتهج به وكأنما ركض للقاءه!! وقيل إنه أرتكض بابتهاج، كما قال الرب لليهود "أبوكم ابراهيم تهلل بأن يرى يومى، فرأى وفرح" (يو: ٨: ٥٦) . العجيب هنا أن أليصابات أحست بأن جنينها إرتكض بابتهاج فى بطنها. يمكن أن تحس جسدياً بحركة (إرتكض) .

أما عبارة (بابتهاج) فقد ظلت حائراً أمامها فترة .

حائراً أمام أمرين . أولهما ابتهاج الجنين .. مشاعر جنين فى بطن أمه! والأمر الثانى هو أن الأم تحس بأن حركة جنينها فى داخلها هى حركة ابتهاج !!

لاشك أنها موهبة من الروح ، إذ قيل عن أليصابات فى تلك اللحظة إنها كانت قد "إمتلأت من الروح القدس" (لوا: ١: ٤١) . وبالروح يمكن أن يوهب لها هذا الإنكشاف.. وهنا تزول حيرتى..



وعظمة يوحنا المعمدان لم يشهد بها ملاك الرب فقط. إنما أكثر

من هذا، شهد بها رب المجد ذاته حينما قال : "ماذا خرجتم لتتظروا. أقصبة تحركها الريح. لكن ماذا خرجتم لتتظروا. إنساناً لابساً ثياباً ناعمة. هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم فى بيوت الملوك. لكن ماذا خرجتم لتتظروا. أنبياء. نعم أقول لكم وأفضل من نبي. فإن هذا هو الذى كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهئ طريقك قدامك . الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان" (مت ١١ : ٧ - ١١) .



قال عنه الكتاب أيضاً إنه ملاك :

أو هو الملاك الذى يهئ الطريق قدام الرب" (مر ١ : ٢) ،
وشهد بهذا اللقب السيد المسيح نفسه (مت ١١ : ١٠) .

ووردت عنه النبوة فى سفر ملاخى النبى : "هأنذا أرسل ملاكى، فيهيئ الطريق أمامى" (ملا ٣ : ١) .

كان أيضاً كاهناً من بنى هارون، إيناً لذكريا الكاهن ...



ولعل أعظم ما فى حياة يوحنا أنه عمّد السيد المسيح له المجد
أتى إليه السيد المسيح ليعتمد منه كباقي الناس .. ومن أجل
الطاعة قام يوحنا بعماد المسيح . واستحق أن يرى الروح القدس

بهيئة حمامة، وأن يسمع صوت الأب قائلاً "هذا هو ابني الحبيب
الذى به سررت" (مت ٣: ١٦، ١٧) وهكذا تمتع بالثالوث القدوس
روحاً وحساً ...



بل إن الله أرشده إليه قبل العماد :

وفى هذا يقول القديس يوحنا المعمدان : "وأنا لم أكن أعرفه.
لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء قال لى: الذى ترى الروح نازلاً
ومستقراً عليه، فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس. وأنا قد رأيت
وشهدت أن هذا هو ابن الله" (يو ١: ٢٣، ٢٤) .



**وتظهر عظمة يوحنا المعمدان فى أنه تم عمله العظيم فى مدة
قصيرة لعلها ستة أشهر أو أزيد قليلاً ...**

هذه الستة أشهر هى الفرق بين عمره وعمر السيد المسيح
جسدياً، حسبما قال الملاك جبرائيل فى تبشيره للعذراء بالحبل
المقدس. "وهذا أليصابات نسيبتك هى أيضاً حُبلى بابن فى
شيخوختها. وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً" (لو ١:
٣٦) .

وكل من المعمدان والمسيح بدأ عمله فى نحو الثلاثين من عمره.

خدم يوحنا هذه الستة أشهر .

ولما ظهر المسيح بدأ يختفى هو . وفى هذه المدة الوجيزة استطاع هذا القديس أن يهدى كثيرين إلى التوبة، وأن يشهد بشهادة قوية للرب، وأن يمهد الطريق أمام المسيح. وقدم للعالم كله مثلاً عملياً بأن :

قوة الخدمة ليست فى طولها، وإنما فى عمقها ، وفى مدى فاعليته ومدى تأثيرها وثمرها ..

أليس عجيباً أن كثيراً من الخدام النافعين ، لا يتركهم الرب يخدمون طويلاً!! يكفى أنهم قدموا عينة ممتازة للخدمة والبر. قدموا مثلاً يحتذى به. واكتفى الرب بما قدموه، وأطلقهم بسلام .

وقد قدم يوحنا مثلاً ممتازاً للخدمة الجادة، وللروحيات العميقة، تتسم منها الله رائحة الرضى، وصرفه بسلام .



وتبرز عظمة يوحنا فى أنه عاش بكماله على الرغم من أن جيله كان مظلماً ...

كان عصرًا شريراً. وكان أشد ما فيه قاذرة الروحانيون من أمثال كهنة اليهود ورؤسائهم والكتبة والفريسيين والصدوقيين . وقد قام فيه من قبل بعض المعلمين الكذبة مثل ثوداس ويهوذا الجليلي اللذين

تكلم عنهما غمالاتيل (أع ٥: ٣٦ ، ٣٧) وقد أزاغا كثيرين .
وكان عصرأ يتميز بالحرفية والبعد عن الروح. ويتصف رجال
الدين فيه بالرياء والكبرياء. وعلى الرغم من وجود أضواء بسيطة
مثل سمعان الشيخ وزكريا الكاهن وحنة النبية، إلا أن العصر في
مجموعه كان فاسداً، وصفه الرب بأنه "جيل فاسق وشرير"
(مت ١٢ : ٣٩) .

ولكن القديس يوحنا لم يتأذ من فساد جيله ، بل على العكس كان
بركة لجيله وسبب هداية له وتوبة .



ومن عظمة يوحنا أنه كان ابن الجبال تربى على حياة الزهد
والنسك ..

وعاش في البراري طوال عمره "إلى يوم ظهوره لإسرائيل"
"ينمو ويتقوى بالروح" (لو ١ : ٨٠) .. عاش ناسكاً "خمرأ ومسكراً لا
يشرب" (لو ١ : ١٥) "يلبس وبر الإبل، ومنطقة من جلد على حقويه"
(مر ١ : ٦) . ويأكل عسلاً برياً .

وفي البرية تعلم الصلاة والتأمل، وتعلم الشجاعة وعدم الخوف،
وأيضاً الصلابة والإيمان. وتعلم القوة الناتجة عن الزهد ...



أعده الله في البرية ، كما أعد العذراء في الهيكل .

فنشأ شجاعاً لا يهاب إنساناً .. يصلح أن يكون صاحب رسالة.

كان يقول الحق بكل قوة، ولا يهمه ماذا تكون النتائج ...

أخطأ هيرودس الملك . ولم يكن يجرؤ أن يوبخه أو يواجهه
بالحق سوى يوحنا المعمدان . فكان الوحيد الذى قال لهيرودس: "لا
يحل لك أن تأخذ امرأة أخيك" (مت ١٤ : ٤) .

ألقاه هذا الملك فى السجن، فلم يهتم . إن ناسكاً مثله زهد كل
شئ، لا يخاف السجن، حتى لو تعطلت خدمته، وكان فكره فى
ذلك:

إن كان الله يريد أن يخدم فسيخدم. وإن كان الله لا يريد
فلتكن مشيئته. المهم أن يشهد للحق .

وكان ما كان .. وقطعت رأس يوحنا المعمدان، ولكن هذا
الصوت الصارخ فى البرية ظل يدوى فى أذن هيرودس، يزعج
ضميره وأفكاره ونومه وصحوه. ويقول له فى كل وقت "لا يحل
لك" .



صوت يوحنا لم يمت بموت يوحنا .

وظل هيرودس يخاف يوحنا حتى بعد موته . فعندما وصلت
إلى علمه كرازة المسيح القوية ومعجزاته، قال لغلمانه: إن هذا هو

يوحنا المعمدان قد قام من الأموات، ولذلك تعمل به القوات!!
(مت ١٤ : ٢) .

إن يوحنا قد عامل هيرودس كالباقين : شهد له بالحق، لأنه كان
محتاجاً إلى هذه الشهادة ...

وفي توبيخه للملك، شابه إيليا النبي .

إيليا وبخ آخاب الملك على عبادته للأصنام (امل ١٨ : ١٧،
١٨). وتعرض بهذا لغضب زوجته إيزابل التي هددته بالقتل (امل
١٩ : ١، ٢) . ويوحنا المعمدان وبخ هيرودس الملك، وتعرض
بذلك لغضب هيروديا التي أراد الزواج بها. فتسببت في قتله
(مت ١٤ : ٦ - ١١).

وهكذا سلك يوحنا بروح إيليا وقوته" (لو ١ : ١٧) .

ونادى قائلاً للناس "توبوا فقد اقترب ملكوت السموات" (مت ٣ :
٢) .. وكان شديداً في رسالته، يوبخ وينتهر ويبكت وكان الناس
يقبلون تبكيته بقلب مفتوح ..

وفي ذلك يقول الكتاب : "لما رأى كثيرين من الفريسيين
والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم يا أولاد الأفاعي من
أراكم تهربون من الغضب الآتي، فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة. ولا
تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً. لأنني أقول لكم إن الله

قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم. والآن قد وضعت
الفأس على أصل الشجرة، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقَطَّع
وتُلْقَى في النار" (مت ٣: ٧ - ١٠) .

✠ ✠ ✠

أَيْقُونَةُ الْمَعْمَدَانِ

أيقونة المعمدان هي أيقونة عماده للمسيح ..

ولكن البعض يرسم أيقونة ليوحنا المعمدان كملاك بجناحين
وهو يحمل رأسه على طبق في يده .

وذلك على اعتبار قول الكتاب عنه إنه الملاك الذي يهيئ
الطريق قدام الرب (ملا ٣: ١) (مر ١: ٢) . وهو حقاً كذلك . أما
حملة رأسه بيده على طبق . فهذا حق لأن الشهداء يحملون آلامهم .
ولكن هذه أيقونة تأملية وليست أيقونة طقسية .

والمفروض أن الأيقونات التي توضع في الكنائس أن تكون
أيقونات طقسية . ولذلك رفضت أن أَدشن أيقونة مثل هذه في بعض
كنائس المهجر . فلماذا ؟

عظمة يوحنا المعمدان ليست لأنه دُعي ملاكاً. فكل رعاة
الكنائس دعوا ملائكة، كما أعطى الرب هذا اللقب لكل ملائكة
الكنائس السبع في آسيا (رؤ ١: ٢٠) (رؤ ٢، ٣) .

وليست عظمة يوحنا المعمدان فى أنه كان شهيداً يحمل آلامه،
ففى الكنيسة عشرات الآلاف من الشهداء، بل ملايين .



لكن عظمته الحقيقية، فى أنه عمد المسيح، الأمر الذى انفرد
به عن باقى القديسين. ولذلك صار لقبه المعمدان .

لذلك الكنيسة المقدسة لا تسميه يوحنا الملاك، ولا يوحنا الشهيد،
ولا يوحنا النبى، وإنما تسميه يوحنا المعمدان .

فالأيقونة الطقسية التى توضع له فى الكنيسة هى صورته وهو
يعمد المسيح. كما أن عماده للسيد المسيح هو عيد سيدى تحتفل به
الكنيسة . والآباء الكهنة يبخرون أمام أيقونة العماد هذه. ويقولون
له كلما يخرجون بالبخور من الهيكل "السلام لك يا يوحنا بن
زكريا، الكاهن ابن الكاهن" .

لا يوجد قديس مثله تسلم عليه الكنيسة فى كل رفع بخور عشية
وباكر، وفى كل قداس .

عماده للمسيح

وكان أعظم عمل للقديس يوحنا هو عماده للسيد المسيح .
وهنا نرى موقفين عظيمين فى الإلتضاع. الأول هو مجئ
المسيح ليعتمد من عبده يوحنا. والثانى هو هذا النبى العظيم يقول

للسيد "أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إلي!!" (مت ٣ : ١٤) .

أنا أيضاً خاطئ ، محتاج إلى معمودية التوبة .

أنا أمام هؤلاء الناس معلم، أما أمامك أنت، فأنا تلميذ .

أمامهم أنا نبي وملاك . وأما أمامك فأنا تراب ورماد .

أنا أمامهم كاهن، وأما أنت فمصدر كهنوتي وكل كهنوت .

✠ ✠ ✠

إن كل العظمة التي أحاطت بيوحنا، وكل الشعبية الجبارة التي

كانت له ، لم تنسه ضالة ذاته أمام المسيح ...

لقد فعل كأمه أليصابات حينما قالت للعدراء "من أين لي هذا،

أن تأتي أم ربي إليّ" .

✠ ✠ ✠

قال يوحنا للرب "أنا محتاج أن أعتمد منك" . ولم يقل له الرب

إنه غير محتاج، بل قال "اسمح الآن، وهي عبارة عجيبة تخرج من

فم الرب موجهة إلى واحد من خدامه .

إنه في رقة ولطف، يقول له : لست آمرك ، إنما أطلب

سماحك، أطلب موافقتك .. لكي نكمل كل بر ...

✠ ✠ ✠

لا أنا

ونجح المعمدان في خدمته "خرج إليه أورشليم وكل اليهودية
وجميع الكورة المحيطة بالأردن. واعتمدوا منه في الأردن معترفين
بخطاياهم" (مت ٣: ٦) .

طبعاً الوحيد الذي لم يعترف بخطايا حينما تقدم إلى العماد، كان
هو المسيح. إذ لم تكن له خطايا مطلقاً لكي يعترف بها .

ولما رأى يوحنا الجموع قد كثرت حوله، حول أنظارهم منه
إلى المسيح . وهو يعنى (لا أنا) .

بذل كل جهده لكي يختفى هو، ويظهر المسيح . ولعل هذه هي
أبرز فضائل هذا القديس وأعمق أعماله .

كان يقول للناس "أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي
بعدي.. سيعمدكم بالروح القدس ونار" (متى ٣: ١١) .

✠ ✠ ✠

وكما كان يجذبهم إلى المعمودية أخرى أفضل من معموديته،
كان يجذبهم بالأكثر إلى صاحب تلك المعمودية .
قائلاً إنه أقوى منه وأعلى وأقدم .

فقال "يأتي بعدى من هو أقوى منى، الذي لست أنا أهلاً أن
أنحنى وأحل سيور حذائه" (مر ١: ٧) . "يأتي بعدى رجل صار

قدامى، لأنه كان قبلى" (يو ١ : ٣٠). "لست أنا المسيح، بل إنى مرسل أمامه" (يو ٣ : ٢٨) .

ولم يقل المعمدان هذا كله كمجرد كلام إتضاع .

أى أن يهبط بمستوى ذاته أمام الناس ..

فالاتضاع الحقيقى - كما يقول القديسون - هو أن يعرف الإنسان ذاته. ويوحنا المعمدان فى كلامه المتضع، كان يعرف تماماً من هو؟ ومن هو المسيح؟ وكان يتكلم عن صدق وعن اقتناع ...
كان "أعظم من ولدتهم النساء" . ولكنه هو، وكل من ولدتهم النساء، هم جميعهم أمام المسيح مجرد خدام، حتى الملائكة ... كما يقول الرسول "وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم ، يقول : ولتسجد له كل ملائكة الله" (عب ١ : ٦) .



لم يبحث هذا القديس عن مجد ذاته إنما عن ملكوت المسيح .
كان يدرك أنه ليس هو النور، إنما ليشهد للنور (يو ١ : ٨)
ليؤمن الكل بواسطته. كان يعرف أنه مجرد سابق أمام موكب الملك
الآتى، كل عمله أن يعد الطريق للملك .

واستطاع يوحنا أن يحفظ طقسه ، ولا يتجاوز حدوده .



كانت الذاتية ميتة عنده ، وكان المسيح هو الكل فى الكل .

إنه درس للخدام الذين يبنون ذواتهم على حساب الخدمة، أو يتخذون الخدمة مجرد مجال لإظهار ذواتهم !!

أروع كلمة تعبر عن خدمة يوحنا، هي قوله عن المسيح "ينبغي أن ذاك يزيد، وأنى أنا أنقص" (يو ٣: ٣٠). وقال عنه أيضاً "الذى يأتى من فوق، هو فوق الجميع.. الذى يأتى من السماء هو فوق الجميع" (يو ٣: ٣١، ٣٢). مشيراً بذلك إلى لاهوت السيد المسيح، لأنه أتى من السماء من فوق، لذا هو فوق الجميع، بما فيهم يوحنا أيضاً ...

لذلك عندما بدأت كرازة المسيح، وأخذت تكتسح جو الخدمة، ابتهج يوحنا وفرح (يو ٣: ٢٩).

وقال : فرحى قد كمل "من له العروس، فهو العريس" أما أنا فمجرد صديق للعريس، أنظر من بعيد وأفرح . وهكذا سلم العروس للعريس .

سلمه الكنيسة التى أعدها له بالتوبة، وسلمه تلاميذه أيضاً، وأنسحب من الميدان فرحاً، مسلماً القيادة للرب . على أن يوحنا فيما كان يتضع ، كان يرتفع .

حسب قول السيد المسيح "من يرفع نفسه يتضع، ومن وضع نفسه يرتفع" (مت ٢٣: ١٢). وإذا وضع يوحنا نفسه، وقال "ينبغي

انى أنا أنقص" . لذلك رفعه الرب ، وجعله أعظم من ولدته النساء..."

طبعاً يقصد أعظم من ولدته النساء (من الرجال) أو (من الأنبياء). لأن القديسة العذراء بلاشك هى أعظم منه. وهى ممن ولدتهم النساء ...

✱ ✱ ✱

نحن فى عيد الغطاس أيضاً ، نذكر معموديتنا نحن :

معموديتنا نحن

معموديتنا هى غير معمودية يوحنا .

ليست هى مجرد معمودية للتوبة . نلاحظ أنه لما كرز القديس بولس الرسول فى أفسس، سأل التلاميذ فيها 'بماذا اعتمدتم؟ فقالوا بمعمودية يوحنا. فقال لهم إن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده أى بالمسيح يسوع. فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع' (أع ١٩ : ٣ - ٥) .

معموديتنا هى ميلاد من الماء والروح .

كما قال الرب يسوع لنيقوديموس 'إن كان أحد لا يولد من الماء والروح، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله' (يو ٣ : ٥) . ويقول عنها القديس بولس الرسول '...بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد

الثانى وتجديد الروح القدس' (تى ٣ : ٥) .

ومعموديتنا هى موت وقيامة مع المسيح .

كما يقول الرسول إلى إهل كولوسى عن المسيح 'مدفونين معه فى المعموية، التى فيها أقمتم أيضاً معه' (كو ٢ : ١٢) .

وقال نفس المعنى لأهل رومية 'أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح، اعتمدنا أيضاً لموته. فدفنا معه بالمعمودية للموت.. لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته' (رو ٦ : ٣ - ٥) .

والموت هنا يعنى موت إسمائنا العتيق .

كما يقول الرسول 'عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبتل جسد الخطية' (رو ٦ : ٦) .

فى معموديتنا ننال الخلاص .

كما قال الرب 'من آمن واعتمد خلص' (مر ١٦ : ١٦) .

وكما قال القديس بولس الرسول "بل بمقتضى رحمته خلصنا، بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس' (تى ٣ : ٥) . وكما قال القديس بطرس الرسول عن الفلك' .. الذى فيه خلص قليلون أى ثمانى أنفس بالماء، الذى مثاله يخلصنا نحن الآن أى المعمودية' (ابط ٣ : ٢٠ ، ٢١) .

والخلاص فى المعمودية ، يعنى الخلاص من جميع الخطايا قبل المعمودية. ويعنى هذا التبرير والتجديد .

الخلاص من الخطية الأصلية الجديدة ، والخلاص من جميع الخطايا الفعلية قبل الخطية. والتجديد يعنى تجديد طبيعتنا (رو ٦: ٤) .

ومعموديتنا ، كما يموت فيها الإنسان العتيق ، يقوم إنسان جديد على شبه المسيح .

وعن هذا قال القديس بولس الرسول 'لأن جميعكم الذين أعتمدتم للمسيح، قد لبستم المسيح' (غل ٣: ٢٧) . أى لبستم ما فيه من بر ... (وهنا عمل التبرير فى المعمودية) .

بركة القديس يوحنا المعمدان تكون مع جميعنا .
وكل عام وجميعكم بخير ،،

فصل الكتاب

بسم الآب والابن والروح القدس

الإله الواحد آمين

نقرأ فى هذه النبذة

عن الموضوعات الآتية:

١ - تأملات فى

عيد الغطاس المجيد .

٢ - تواضع الرب

فى المعمودية .

٣ - عظمة المعمدان

٤ - معمودية يوحنا

٥ - أيقونة المعمدان .

٦ - عماده للمسيح .

٧ - (لا أنا) :

اختفاء يوحنا ليظهر

المسيح .

٨ - معمديتنا نحن

البابا شنودة الثالث